

منكرو النبوة

هذا البحث للنشر استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراة في الفلسفة

مقدم من الطالبة

سمية الطيب الطاهر عمران

إشراف

أ.د. سهير فضل الله الشافعي

أ.د. منى عبدالرحمن أبوزيد

المقدمة:

بسم الله والحمد لله الذي اختص من يشاء بحكمته ووقفهم لفهم شريعته وإتباع سنته من مكنون علمه ومفهوم وحيه ومقصد رسالة نبيه إلى خلقه على ما استبان به عندهم زيع الزانقين من أهل ملته وتخريف المبطلين من أمته وانكشف لهم من التأويل مالم يأنس الله به، وصلواته التامة على أمين وحيه وخاتم رساله، وعلى أهله وصحبه أجمعين.

النبوة من العقائد الإسلامية في الإسلام، ولا يستقيم إسلام مسلم إلا بشهادتي الألوهية الموحدة والنبوة المخصصة: "لا إله إلا الله، محمد رسول الله" فبعض النبي حسنة وجائزة، وقد عارض البراهمة في ذلك مدعين كفاية العقل وعدم قبول ما يخالفه، والسؤال المطروح هل يحل العقل محل النبوة أو العكس؟ وهل حاولوا مفكري الإسلام توضيح هذا الأمر بالحجة والمنطق؟.

مما لا شك فيه أن هناك دراسات عديدة حول هذا الموضوع فلم تكن هذه الدراسة هي الأولى، وإنما سبقتها دراسات أخرى في هذا المجال تذكر منها محاولات كل من فلاسفة الإسلام القدماء أمثال الإيجي، والغزالي وشيوخ الاعتزال فهذا على سبيل الذكر فقط لا الحصر، وحديثاً دراسة للدكتور إبراهيم منكر في كتابه في الفلسفة الإسلامية، ج1، يؤكد فيها الدور الذي لعبته هذه النظرية - النبوة - في مواجهة منكر النبوة. لقد حاول شيوخ الاعتزال إثبات نظرية النبوة، ودفع كل زيف عنها انطلاقاً من مبدأ الوجود العقلي، فأرسل الرسل بعد واجباً عقلاً على الله تعالى، لأن في إرسالهم إنقاذاً للعالم وصلاًحاً للإنسان وفعل الصلاح واجب على الله، إيماناً بعقله المطلقة، فما دام الله عادلاً فهو لن يفعل إلا ما هو أصلح لعباده⁽¹⁾. لذلك رد القاضي عبد الجبار المعتزلي على من قالوا بقوة العقل في المعرفة، وبأنه يحل محل النبوة، بأنه لم يكن في قوة العقل ما يعرف به ويفصل بين ما هو مصلحة ولطف، وبين ما لا يكون كذلك: فلا بد من أن يعرفنا الله تعالى حال هذا الأفعال حتى لا يكون عاتداً بالنقص على غرضه بالتكليف، فليس للبراهمة أو غيرهم من الذين زعموا أن هؤلاء الرسل إذا أتوا بما في العقل، ففي العقل كفاية عنهم، وإذا أتوا بخلافه فيجب أن يكون قولهم مردود. إذ أن ما أتى به الأنبياء لا يكون إلا تفصيل ما تقرر جملة في العقل⁽²⁾. فالرسل يصطفونهم الله تعالى لتبليغ رسالته فيهم بمنحهم الفضائل، ويعصمهم من الرذائل قبل البعثة، فالرسل هي الطائفة من الله تعالى كما تقول شيوخ المعتزلة، والنبوة لطف للمبعوث إليه، ولا تختص بأمور الدين فحسب بل إنه بها تتم مصالح الدنيا لذلك فإن حكمة الخالق سبحانه ولطفه بعباده، قضت في كل عصر وفي كل أمة بوجود الأنبياء واصطفاهم من الخلق وإفاضه الكمال النبوي عليهم بحسب ما وهبت لهم العناية الإلهية من القبول والاستعداد، مؤيدون من قبله تعالى بالآيات والكرامات والمعجزات الدالة على صدقهم أخذاً على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمقتهم لغاية توجيه الخلق وتهذيبهم، والإصلاح بينهم وتنبئهم إلى ما يراد منهم في الدار الآخرة وما يتطلب منهم في الدار الآخرة.

فهذا البحث محاولة متواضعة منا للرد على منكر النبوة من خلال أصالة الفكر الفلسفي الإسلامي الذي سعى حثيث للدفاع عن عقيدة الإيمان بالرسول، ومجادلة منكريها، وكتقوا طوائف متعددة طائفة منهم أنكرت الرسل جملة. وإليهم أشار القرآن الكريم في قوله: { أَيْتَتْ آلَهُ بُشْرًا رُسُلًا }⁽³⁾، وطائفة أخرى منهم آمنتم ببعض وكفرت ببعض، وإليهم أشار القرآن بقوله تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ لِمَسَّتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لِمَسَّتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ }⁽⁴⁾، وطائفة ثلاثة قالت في الرسل بغير حق، وقد جد المتكلمون في إقامة الأدلة على إثبات بعثة الرسل، وبيّنوا شروط المعجزات وصفات الرسل⁽⁵⁾.

(1) القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين، القاهرة، 1971، ص236، 237. وكذلك القاضي عبد الجبار: المغني، 15، التنبؤات والمعجزات، القاهرة، 1965، ص19.

(2) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان، القاهرة، مكتبة وهبة، 1988، ط2، ص564.

(3) سورة الإسراء: 94.

(4) سورة البقرة: 113.

(5) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص567-576. كذلك المغني ج15، وأيضاً الجويني: الإرشاد، ص124.

ولهذه كانت النبوة تحدد أنواع الأعمال التي تتناط بها سعادة الإنسان في الدارين، فيكون الإذعان لهم أشبه بالاضطراري منه بالاختياري النظري يعلمونهم ما شاء الله أن يصلح به معاشهم ومعادهم، فبعثه الأنبياء صلوات الله عليهم من متممات كون الإنسان⁽⁶⁾.

أهمية الموضوع :

نال هذا الموضوع أهمية من عدة نواحي :-

- 1- الكشف عن التشويه الذي حاولوا المنكري الصقه بالنبوة، فكان هذا البحث محاولة لمعرفة مسائل الاعتقاد عند طوائف المنكري.
 - 2- توضيح موقف الفلاسفة المسلمين من هذا الموضوع، والدور الكبير الذي لعبه معظم فلاسفة الإسلام ضد هؤلاء المنكرين.
- أما عن الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع فتكمن في الآتي :-
- 1- التعرف على منكري النبوة وتوضيح مواقفهم المعادية للدين.
 - 2- معرفة ما إذا كانت عقائدهم (منكري) استطاعت التأثير في الفكر الإسلامي. وهل استطاع العقل أن يحل محل النبوة؟
- مجموعة التساؤلات هذه فرضت على كاتبه هذه السطور استخدام منهج جدلي يقوم على التحليل والتركيب، ومعالجة معرفية قوامها تحليل النصوص.
- وقد اشتملت خطة البحث بعد المقدمة على ثلاثة فصول ، الفصل الأول بعنوان النبوة ، والفصل الثاني منكري النبوة والفصل الثالث كان عرضاً للنموذجين من المنكرو.
- الفصل الأول : النبوة**

المبحث الأول : مفهوم النبوة.

المبحث الثاني : إثبات النبوة طريقاً للمعرفة.

أ- أهمية النبوة.

ب- النبوة والإيمان.

الفصل الثاني : منكري النبوة

المبحث الأول : العقل والنبوة.

المبحث الثاني : طوائف المنكرين.

الفصل الثالث

كان عرضاً للنموذجين من المنكرين في القرن الثالث والرابع الهجري والرد عليهما.

المبحث الأول : أحمد بن إسحق.

المبحث الثاني: محمد بن زكريا.

ثم الخاتمة والتي جاءت بأهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

(6) محمد عبده: رسالة التوحيد، بيروت، دار إحياء العلوم، 1982، ط4، ص87-102.

الفصل الأول النبوة

- المبحث الأول : مفهوم النبوة.
المبحث الثاني : إثبات النبوة طريقاً للمعرفة.
أ- أهمية النبوة.
ب- النبوة والإيمان.

النبوة

1- مفهوم النبوة :-

النبوة نبعة من الله تعالى إلى عباده، وسفارة بينه وبينهم، وغايتها إرشادهم إلى مافيه الله رضا، ولهم خير وصلاح، فالرسول مبعوث من الله تعالى، ورسالته النصحية لقوله تعالى: { أَتْلُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ }⁽⁷⁾ من حكمة الخالق سبحانه وتعالى ولطفه بعباده، قضت في كل عصر وفي كل أمة بوجود الأنبياء واصطفاهم من الخلق وإفاضة الكمال النبوي عليهم بحسب ما وهبت لهم العناية الإلهية من القبول والاستعداد، مؤيدون من قبله تعالى بالآيات والكرامات والمعجزات الدال على صدقهم أخذاً على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم لغاية توجيه الخلق وتهذيبهم، والإصلاح بينهم وتنبؤهم إلى ما يراد منهم في الدار الدنيا وما يتطلب منهم في الدار الآخرة، وتنقية أذهانهم من الشوائب العالقة بها، وعقولهم من الشرك والضلال، وتذكيرهم بنعم الله عليهم وترغيبهم بما أعد الله تعالى للمتقين من عباده، وترهيبهم مما أعد له أعدائه الفاسقين الكافرين⁽⁸⁾. حيث أن كل أمة لاتخلو من بني مرسل⁽⁹⁾، فإن ذلك يؤدي إلى تواتر الأنبياء السابق منهم قد أطلعهم الله تعالى على العلم بوجوده اللاحق له، كبشارة الأنبياء بمحمد (عليه السلام) واللاحق بوجود السابق عليه، على هذه الوتيرة والنظام الإلهي ثم حفظ النوع الإنساني واستمرار الحياة.

لذلك فإن الاعتقاد ببعثة الرسل ركن من أركان الإيمان، فيجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يعتقد أن الله أرسل رسلاً من البشر مبشرين بنوابه، ومنذرين بعقابه، قاموا بتبليغ أمهم ما أمرهم بتبليغهم من تنزيه لذاته، وتبيين لسلطانه القاهر على عباده، وتفصيل لأحكامه في فضائل أعمال وصفات يطالبهم بها وفي نقائص أفعال ينهاهم عنها⁽¹⁰⁾، وأن يعتقد وجوب تصديقهم في أنهم يبلغون ذلك عن الله تعالى، ووجوب الاقتداء بهم في سيرهم، والانتمار بما أمروا به والكف عما نهوا عنه.. وأن يؤمن بأنهم مؤيدون من العناية الإلهية بما لا يعهد للعقول ولا للاستطاعة البشرية، وأن هذا هو المعجزة الدالة على صدق النبي في دعواه⁽¹¹⁾، فمتى ادعى الرسول النبوة، واستدل عليها بالمعجزة وجب التصديق برسالته، فهؤلاء النبيون يبشرون الناس بالخير والسعادة في الدنيا والآخرة إذا اتبعوا هدى الله تعالى { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ }⁽¹²⁾.

2- إثبات النبوة طريقاً للمعرفة :

أ- أهمية النبوة :

لهذا الطريق في المعرفة أهمية كبيرة في ديننا، لأنه الميزة الرئيسية للمؤمن عن الكافر، فالمؤمن يعترف بالحس والعقل والنبوة طرقاً للمعرفة، بينما يقتصر الكافر على الحس والعقل وينكر النبوة أو الوحي طريقاً لها.

فالنبي هو المعبر عن إرادة الله تعالى، ووجوده ضروري لإرشاد الناس إلى مافيه صلاحهم في الدارين ولتأكيد نبوته وإثباتها في نفوس البشر، أيده الله بالمعجزات وبالعضمة في تلقي الوحي ونشر التبليغ فالإيمان بالنبوة فرع الإيمان بالله، والإيمان بالله يقتضي الإيمان بنبوة من اصطفاه من عباده لتبليغ مراده إلى الناس، فالنبوة توجيه سديد لعبودية الله وحده، ثم هي التي تعلمنا ما يليق به سبحانه من صفات وأفعال، وما يطلبه منا ويقبله من عبادات، وما يصلحنا من تشريع وأنظمة، فالمعرفة النبوية عن طريق الوحي إذن ضرورية ولازمة للوجود الإنساني الذي يؤمن بالله، ولا يستغني عنها الإنسان بحسه وعقله. لما لهذا

(7) سورة الأعراف، الآية 62.

(8) محمود قاسم حبيب : الفلسفة والاعتزال في منهج البلاغة، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات، 1987، ط1، ص120.

(9) محمد عبده : رسالة التوحيد، ط10، ص97-98. وكذلك محمد عبده : رسالة التوحيد، بيروت، دار إحياء العلوم، 1982، ط4، ص88-89.

(10) محمد عبده : رسالة التوحيد، ص88-89.

(11) المرجع نفسه، ص97، 98.

(12) سورة البقرة: الآية 213.

الوجود الإنساني والحس والعقل من قصور وعجز وشعور بالحاجة إلى الخالق سبحانه، الحاجة في أصل الخلق والحاجة في ما يجب أن يعلمه الإنسان مما فيه صلاح حاله ومعاشه في دنياه وآخرته⁽¹³⁾.

ب- النبوة والإيمان :

يتفرع هذا البحث عن الإيمان بوجود الله، ومن أنكر وكفر فلا يحق له الحديث عن النبوة والأنبياء، لأن الفرع ينتفي بالتقاء الأصل، أيضاً الحديث عن نبوة محمد عليه السلام، وغيره من الأنبياء يتفرع عن أصابت النبوة كفكرة بصرف النظر عن نبوة الأشخاص، لذلك فإنه لا قيمة للاستدلال على النبوة مالم تحل قضية الإيمان بوجود الله تعالى، الذي يبعث النبي. فالمعنى للألوهية أصلاً لا سبيل لإفادته من النبوة طريقاً للمعرفة، لأنه لا يردّها إلى الله وغاية ما يعترف بها، لا يزيد عن اعتبار من نعتبه نبياً، شخصاً نكياً عبقرياً، وقد يتهمه بالمسح والتمعّدة وغير ذلك، ومن ثم كانت ملاحظات علماء الكلام^(*) قيمة في مجال إثبات النبوة أنهم استندوا في بحثهم لدلالة المعجزة على النبوة ووجه دلالتها على تصديق النبي إلى مقدمة مفادها استحالة الكذب على الله تعالى، واستحالة أن يصدق من يكذب عليه، لأن ذلك يحيله العقل على الله لذلك قال القاضي عبد الجبار (325/هـ 936م)⁽¹⁴⁾، وهو أحد علماء الاعتزال بأن المعجزة - وأن حدثت على يدي النبي - فهذا لا يعني أنها من صنعه، وإنما أحدثها الله عبره على سبيل التصديق فيما ادّعاء من النبوة وكذلك قول أبو الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي المغربي (626/هـ 1238م) وهو من علماء الأشاعرة : "بأن المعجزة لتدل في حق من خاومه الشكوك في الإلهيات، لأن العلم بالمرسل فرع، عن العلم بالمرسل.. والمعجزة تدل في حق من يعتقد أن له رباً قادراً يفعل ما يشاء. النبي يقول في مخاطبة من سبق اعتقاده للإلهية : قد علمت أن أنبعت النبي غير منكر عقلاً، وأنا رسول الله إليكم، وآية صدقي أنكم تعلمون تفرد الرب تعالى بالقدرة على إحياء الموتى، وتعلمون أن الله تعالى علم بسرنا وعلانيتنا، وما نخفيه من سرائرنا ونبيده من ضمائرنا، فإن كنت يارب صادقاً في دعواتي فأقلب هذه الخشبة حية تسعى، فإذا انقلبت كما قال، وأهل الجمع عالمون بالله تعالى، فيعلمون على الضرورة أن الرب تعالى قصد إيجاد ما أبدع تصديقه"⁽¹⁵⁾.

فلقرآن الكريم يدعو إلى الإيمان بالمرسل جميعاً وذلك في قوله تعالى: {فَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}⁽¹⁶⁾.

(13) راجع عبد الحميد الكردي : نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، الرياض، مكتبة "المؤيد"، 1992، ط1، ص727. وانظر كذلك إبراهيم بيومي : دروس في تاريخ الفلسفة، القاهرة، 1953، ص85.

(*) كنا قد تكلمنا عن هذا البحث بأسهب في فصل - نظرية النبوة عند النظام، والقاضي عبد الجبار - من فصول رسالة الدكتوراه.

(14) القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين، القاهرة، 1971، ط1، ص237.

(15) المكلاتي : ليلب العقول، القاهرة، دار الأنصار، 1977، ط1، ص354.

(16) 2 سورة البقرة: الآية 136.

الفصل الثانى

منكرو النبوة

المبحث الأول : العقل والنبوة.

المبحث الثانى : طوائف المنكرين.

بدء موجة الشك وإنكار النبوة في الإسلام

أ- العقل والنبوة :

إن الإيمان بالله تعالى يعود إلى استدلال العقل، لمن أراد أن يستدل، ولكن هل يستطيع العقل أن يحل محل النبوة؟ إن إدعاء النبي للنبوة بصدق إنما يمثل الوقوع الفعلي لظاهرة النبوة أو يمثل تحقيق ما يجيزه العقل وما لا يحيله في الواقع، ولا يصح للعقل أن يدعي إنكارها لمجرد أنه لم يصل إليها، ولأنه معزول عن المعارف الغيبية التي تأتي بها، بل ذلك الموقف منه يدل على جهل شنيع، في ذلك يقول الغزالي : "وراء العقل طور آخر تنفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل وأمور أخرى، العقل معزول عنها كعزل قوة التمييز^(*) عن إدراك المعقولات، وكعزل قوة الحس عن مدركات التمييز، وكما أن المميز لو عرضت عليه مدركات العقل لأبأها واستبعدها، فكذلك بعض العقلاء أبي مدركات النبوة واستبعدها وذلك عين الجهل إذ لا مستند له إلا أنه طور لم يبلغه ولم يوجد في حقه فيضان أنه غير موجود في نفسه" (17).

فكما أن العقل طور من أطوار ابن آدم يحصل فيه عين يبصر بها أنواع المعقولات والحواس معزولة عنها، فالنبوة أيضاً هي عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور يظهر في نورها الغيب وأمور لا يدركها العقل⁽¹⁸⁾. ولا أدل على إمكان الشيء من وقوعه في الواقع، كما يقول الغزالي "لنيل إمكانها وجودها"⁽¹⁹⁾، أما دليل وجودها، فهناك من الأدلة العقلية والنقلية الكثير، وإذا كان المنكر لا يعترف بالأدلة النقلية فلأن الأدلة العقلية قائمة ومنها النظر في خواص النبوة من وجود معارف في العالم لا يتصور أن تنال بالعقل كعلمي الطب والنجوم، فإن من يبحث عنها علم بالضرورة أنها لا تترك إلا بإلهام إلهي وتوفيق من جهة الله تعالى ولا سبيل إليها بالتجربة⁽²⁰⁾. لما تحتاجه من الأزمان الطويلة التي تقوت بها مصلحة الإنسان وتهدد بعدم معرفتها حياته. ومنها النظر في أحوال مدعي النبوة، وما يكرمه الله به من المعجزات، والأدلة الدالة على نبوته دلالة عقلية يقينية وضرورية لمن شاهدها إن كانت حسية، ولمن بعده إن كانت عقلية، أو تواتر نقلها. والتوتر يورث العلم الضروري

وإن كان المجادل معترفاً بالإلوهية فإنه فيما يأتي به النبي من معرفة في مجال الإيمان والعبادات والمعاملات، وسائر ما يصلح أحوال الناس، لدلالة كافية لأن يؤمن بأن من جاء بهذه المعلومات مدعياً أنها من عند الله وأنه نبي اختاره الله لتبليغها فهو نبي، ولعل القرآن خير ما يمثل هذا النوع من الأدلة على النبوة، فإنه معجزة منقولة بالتواتر ودلالته عظيمة على صدق النبوة، بالتحدي في الإتيان بعينه شكلاً ومضموناً.

إذا ما تفهمه من هذا، أن المعجزة تقوم بدور رد العقل إلى صوابه والفترة إلى سلامتها، وتكون بمثابة حجة دامغة، تزيد من يقين المؤمن وترد ذوي العقول إلى الصواب وتخرس الأسمنة الملثوية وتكون حجة شاهدة على الكفار والمنكرين، ويتحقق على أساسها عدل الله ورحمة منه وفضلا كما جاء في محكم كتابه : **[وَمَا كُنَّا مُعْتَبِرِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا]** ⁽²¹⁾، وقال عز وجل: **[وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا]** ⁽²²⁾، وقال تعالى: **[وَمَا أَرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا]** ⁽²³⁾، وكذلك في قوله تعالى : **[رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا]** ⁽²⁴⁾.

ب- طوائف المنكرين :

(*) قوة التمييز هنا في مقصود الغزالي هي مرحلة التمييز التي يصل إليها الطفل وهو قريب من سبع سنوات فهي طور من أطوار نموه بعد طور الحس، وقبل طور العقل الذي يدرك به الواجبات والجزاءات والمستحبات وأمورا لا توجد في الأطوار التي قبله. انظر الغزالي : المنقذ من الضلال، تحقيق جميل صليبا وكامل عياد، بيروت، دار الاندلس، 1973، ط8، ص145.

(17) الغزالي: المنقذ من الضلال، ص 148، 145.

(18) الغزالي: المنقذ من الضلال، ص 146.

(19) المصدر نفسه، ص 147.

(20) الغزالي : المنقذ من الضلال ، ص 147.

(21) 17 سورة الإسراء : الآية 15.

(22) 4 سورة النساء : الآية 79.

(23) 17 سورة الإسراء : الآية 59.

(24) 4 سورة النساء : الآية 165.

بدأت موجة الشك وإنكار النبوة نتيجة لاختلاط المسلمون بعناصر أجنبية مختلفة نفثت فيهم كثيراً من سموها، ولم تدع فرعاً أصلاً من أصول دينهم إلا وضعت موضع النقد والتشكيك والتضليل، وكما يقول: إبراهيم منكر بأنّه لا غرابة فقد كانت هذه العناصر متوترة من الدين الذي ألغى أديانها ومن الحضارة الجديدة التي سلبتها مجدها وعزتها⁽²⁵⁾، لهذا تألفت في كل جموعها، وأخذت تحارب الإسلام بشتى الوسائل لتأثر لنفسها ودينها، وتسترد نفوذها وسلطانها، ولكنها عبثاً حاولت وباعت كل المحاولات بالفشل لقوله تعالى: { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون }⁽²⁶⁾.

وقد جرت عادة علماء الكلام على جعل البراهمة^(*)، والصابئة^(**)، والمزدكية^(***)، والمانيّة من الفرس وأنصارهم من زنادقة العرب على رأس المنكرين للنبوة، بدعوا في القرن الثاني الهجري ينشرون دعوة التثنية ويهدمون فكرة التوحيد التي قام عليها الإسلام، وكما نعرف خبر بشار بن برد^(*) وصالح بن عبد القنوس الثنويين اللذين كانت لهما مجالس خاصة تذاع فيها الآراء المزدكية والمأنوتة⁽²⁷⁾. والسمنية وغيرهم من براهمة الهند، أخذوا في ذلك العهد ينادون بتناسخ^(**) الأرواح وينكرون النبوة والأنبياء ولا يرون حاجة البشر إليهم.

إن إنكار النبوة والأنبياء معناه أن البشرية في غنى عن الدين والشرائع السماوية وأحكامها، لأن الإنسان بمواهبه كما يزعم المنكرون يستطيع أن يسد حاجته في كل زمان ومكان مستقلاً عن جميع الأديان، وعلى هذا الأساس هل يغني العقل عن النبوة؟! ولعل من أبرز حججهم في الإنكار والقول بالاستحالة مقرونة بجواب يبين تهافتها، وفساد الاحتجاج بها.

ويمكن حصر طوائف المنكرين في قسمين :-

- القسم الأول : يعتمد العقل ويقول باستحالة النبوة أصلاً.
 - القسم الثاني : يعتمد العقل كذلك ويصّب إنكاره على المعجزة، بالقول بامتناعها عقلاً، أو بمنع دلالتها أو العلم بها بالتواتر.
- والقسم الأول من المنكرين ثلاثة طوائف. طائفة قالت باستحالة النبوة عقلاً، واحتجت بوجوه⁽²⁸⁾.

(25) إبراهيم منكر: في الفلسفة الإسلامية، ج1، القاهرة، دار المعارف، 1968، ص78.

(26) 5 سورة الحجر: الآية 9.

(*) البراهمة: هم قبيلة بالهند فيهم أشراف أهل الهند ويقولون أنهم من ولد برهمي ينكروا النبوات.

(*) الصابئون: جمع صباي وهو انتقل إلى دين آخر وأيضاً في اللغة حب الرجل إذا عشق وهوى، ويقال صبا إذا مال وزاغ، وعلى هذا فالصابئة في رأي الإسلام جماعة مالوا وزاغوا عن عبادة الله الواحد، انظر الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ج1، ص126، والشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص15.

(**) وهم من فصائل التثوية قامت على تفسير ثنائي بأن العالم مركب من أصلين قديمين أحدهما النور والآخر الظلمة. انظر القاضي عبد الجبار، المغني 5، ص12-13، الشهرستاني: الملل، ج1، ص188-190.

(*) هم من الزنادقة وكان عبد القدوس ممن يعظ الناس في البصرة شعره كله (أمثال وحكم) أنهم بالزندقة. فصلبه المهدي (165هـ) وكان قد عمى في أواخر حياته حزياً على ولده الذي مات. انظر القاضي عبد الجبار: طبقات المعتزلة، القاهرة، 1972، ص57.

(27) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج3، بيروت، دار الكتاب العربي، 1936، ط10، ص157.

(**) أثر التناسخ في الفكر الإسلامي وكان من بين هذه الفروق: فرقان: أحدهما من فرق الشيعة الغلاة الرافضة، ومنهم البائية والجناحية والخطابية والراوندية من الروافض الطولية قد قالت كلها بتناسخ الروح الإلهي في الأئمة الشيعة وأول من قال بعقيدة التناسخ من الشيعة الغلاة هو عبدالله بن سبأ الذي ادعى أن علياً صار إلهاً حين حل روح الإله فيه (كنوع من الغلو)؟! كما أن بيان من سمعان زعم أن روح الإله درأت في الأنبياء ثم في الأئمة إلى أن وصلت إلى بيان وحلت فيه، وادعت الجناحية مثل القول في زعيمهم عبدالله بن معاوية بن عبدالله ابن جعفر، وكانت الخطابية تدعى في ذلك الإدعاء في أبي الخطاب زعيمهم وهؤلاء جميعاً يقولون بتناسخ روح الإله في أجساد البشر، وهذا قول واضح البطلان، فضلاً عن أنه يخرج القائل به عن عقيدة الإسلام ويدخله في إعداد المشركين الملحدين إحدائاً تاماً. للمزيد من الاطلاع انظر الخياط: الانتصار، تحقيق نبيرج، بيروت، دار العربية للكتاب، ط2، 1993، ص149، وكذلك البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق محي الدين، القاهرة، ص270-276.

(28) الأبيجي: المواقف، القاهرة، مكتبة المتنبي، بدون تاريخ، ص343.

الوجه الأول: أن المبعوث لا يعلم أن القائل له أرسلتك هو الله، ولا طريق إلى العلم به، بل لعله من إلقاء الجن أو غيره.

الوجه الثاني: أن من ألقى إليه الوحي، إن كان جسماً وجب أن يكون مرئياً، وإلا كان ذلك مستحيلًا⁽²⁹⁾.

الوجه الثالث: التصديق به يتوقف على العلم بوجود المرسل، وما يجوز عليه وما لا يجوز، وهذا لا يتحصل إلا بغلوض النظر وهو غير مقدور بزمان، فلمكلف الاستمهال^(*) ودعوى عدم العلم، فيلزم من ذلك إفحام البنى وتبقى البعثة عبثاً، والإلزام التكليف بما لا يطاق وهذا قبيح عقلاً⁽³⁰⁾. فوجوب الأول والثاني: أن المرسل ينصب ليلياً، أو يخلق في الرسول المكلف علماً ضرورياً، بأن التكليف من قبل الله تعالى؛ والوجوب الثالث: أنه لا يجب الإمهال مع العلم العادي الحاصل عن المعجز الذي يقيمه الرسول للدلالة على صدق دعوى النبوة⁽³¹⁾.

الطائفة الثانية: قالت أن البعثة لا تخلو من التكليف وأنه متمنع عقلاً، لأن فيه إضرار، لما يلزمه من التعب بالفعل، أو العقاب بالترك، وهو قبيح عقلاً؛ ولأن التكليف: إما لا لغرض وهو عبث، أو لغرض يعود إلى الله تعالى وهو منزه، أو إلى العبد وهو إما إضرار وهو منتف بالإجماع، أو نفع وتكليف جلب نفع والتعذيب بعينه وهو خلاف المعقول؛ وهو معارض كذلك بما فيه من المضرة العظيمة بالكفار والعصاة⁽³²⁾.

الطائفة الثالثة: قالت إن في العقل كفاية عن البعثة، "وهذا ما قالته البراهمة"، فما حكم بحسنه يفعل وما حكم بقبحه يترك وما لم يحكم فيه بحسن ولا قبح، يفعل عند الحاجة ويترك عند عجزه⁽³³⁾.

فالجواب على هذه الطائفة وسابقتها، بعد فرض تسليم حكم العقل أن الشرع فائقته تفصيل ما أعطاه العقل إجمالاً وبيان ما يقصر عنه العقل، فإن القائلين بحكم العقل لا ينكرون أن من الأفعال ما لا يحكم فيه كوظائف العبادات وتعيين الحدود وتعلم ما ينفع وما يضر، وذلك كالطبيب يعرف الأدوية وطبائعها وخواصها، مما لو أمكن معرفتها للعاملة بالتجربة ففي دهر طويل يحرمون فيه من فوائدها ويقعون في المهالك قبل استكمالها، مع أن اشتغالهم بذلك يوجب تعطيل الصناعات⁽³⁴⁾، والشغل عن مصالح المعاش فإذا تسلموا من الطبيب، خفت المونة وانتفعوا به وسلموا من تلك المضار، ولا يقال في إمكان معرفته غي عن الطبيب، كيف والنبى يعلم ما لا يعلم غيره من جهة الله تعالى⁽³⁵⁾.

فأرسلة - حتى المعتزلة الذين اعتدوا بالعقل كما هو معروف اعتداداً كبيراً وجعلوه سبيل معرفة الحسن والقبح في الأفعال لم ينكرون النبوة - تفصيل ما جاء في العقل جملة لقول القاضي عبد الجبار^(*): "إلا

(29) المصدر نفسه، ص 343.

(*) الاستمهال: طلب المهلة من الوقت. "بأن يقول المدعو للرسول أمهلني حتى أنظر واستدل على وجود المرسل الذي أرسلك وصفاته الواجبة له، وما يستحيل في صفاته وبعد ذلك أنظر في جواز انبعث الرسل ثم في معجزات هذا المدعي بعينه، ثم يقول أمهلني حتى أقطع هذه المراتب،... فإن لم يمهله النبي فقد ظلمه وكلفه بما لا يطاق وأمره بمجرد التقليد، وإن أمهله فيلزمه أن لا يعود إليه حتى ينهي النظر إلى النهاية وذلك لا يستقر بزمان معين... وفي ذلك تعطيل للدعوة، انظر الشهرستاني: نهاية الأقدام في علم الكلام، بغداد، مكتبة المتنبى، تصحيح الفرد جيوم، ص 418-419.

(30) الإيجي: المصدر نفسه، ص 343.

(31) الإيجي: المواقف، ص 343.

(32) الإيجي: المواقف، ص 343 وكذلك القاضي عبد الجبار؛ المغني 15، النبوءات والمعجزات، تحقيق محمود الخضري، 1965، ص 115-131.

(33) الإيجي: المصدر نفسه، ص 344.

(34) المصدر نفسه، ص 345. وكذلك القاضي عبد الجبار: المغني 115 التنبؤات والمعجزات، ص 115-131.

(35) الإيجي: المواقف، ص 345.

(*) القاضي عبد الجبار: هو من أحمد بن الخليل بن عبد الله أبو الحسن الهمداني الأسد أبادي. والأسد أبادي نسبة إلى أسدأباد، وهي بلدة كبيرة على مقربة من همدان ويلقب بعماد الدين حيفاً ويقاضي القضاة أكثر الأحيان، يقف على رأس طبقة الاعتزال الحادية عشرة، ويعد فمثلاً الاعتزال البصري أنظر الحاكم: شرح عيون المسائل، ط تونس، 1974، ص 365، وكذلك ابن المرتضي: طبقات المعتزلة، ط بيروت، 1961، ص 112 وما بعدها، وكذلك أنظر الدودي: طبقات المفسرين، 1، ط مصر، 1972، ص 256، 257.

أننا لا يمكننا أن نعلم عقلاً أن نعلم أن هذا الفعل منفعة وذلك مفسدة... فبعث الله تعالى إلينا الرسل ليعرفونا ذلك من حال هذه الأفعال فيكونوا قد جاءوا بما ركبته الله تعالى في عقولنا وتفعل ما قد تقرر فيها⁽³⁶⁾. ثم يؤكد الشهرستاني ذلك في قوله: إن العقول ليست كلها محددة الاتجاه نحو السلامة والحق، بل تقبل مختلف الاتجاهات من أعلى درجات الخير والطهر إلى أسفل سافل الباطل والفجور تتردد في الأحكام وتتغير في الاختيار بحسب النوازع والرغبات والحاجات في حيلته إلى الاجتماع والمشاركة وهذا غير متصور عقلاً إلا بحدود وإحكام، فزعم ضرورة أن يكون بين الناس شرع يفرضه شارع يتلقى من الله وحياً⁽³⁷⁾. أما عن القسم الثاني من المنكرين للنبوة: يقوم عماد احتجاجه في المنع والقول بالاستحالة، على القول بامتناع المعجزة واستحالة وقوعها أصلاً لأن في تحويز خرق العادة سفسطة لا يقبلها العقل ولو جوزناه، لجاز انقلاب الجبل ذهباً، وماء البحر دماً وهذا غير ذلك من قدرة من ادعى النبوة أن يعدم ويوجد، ولا يخفى ما في هذا من الخبط والإخلال بالقواعد⁽³⁸⁾.

ويرد الإيجي^(*) على المنكرين بأن خرف العادة، ليس أعجب من أول خلق السموات والأرض وما بينهما ومن انعدامها - بحسب ما نؤمن به - والجزم بعدم وقوع بعضها لا ينافي بإمكانها، وذلك كما في المحسوسات، فإنما نجزم بأن حصول الجسم المعين في الحيز المعين، لا يمنع فرض عدمه ببله، مع الجزم به للحس، والعادة أحد طرق العلم كالحس، ثم إن خرق العادة إعجازاً وكرامة - خرق العادة وجه من أوجه إعجاز القرآن عند المعتزلة وعند بعض أئمة الكلام - عادة مستمرة⁽³⁹⁾.

وهنا يبرز موضوع السببية ليوضح أكثر هذه الوجهة، فيقول الغزالي "أن الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً، وبين ما يعتقد مسبباً، ليس ضرورياً عذناً، بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا، ولا إثبات أحدهما متضمناً الآخر، ولا نفيه متضمناً لنفي الآخر، وليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر، ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر، ولا نفيه متضمناً لنفي الآخر، وليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر، ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر، مثل الري والشرب، والشبع والأكل والاحتراق والنار والنور وطلوع الشمس، والموت وجز الرقبة... الخ إلى كل المشاهدات من المقررات في الطب والصناعات والحرف. فإن اقترانها لما سبق من تقدير الله تعالى، بخلقها على التسلق، لا لكونه ضرورياً في نفسه غير قابل للفوت والاختراق، بل في المقدور خلق الشبع دون الأكل، وخلق الموت دون جز الرقبة، وإدامة الحياة مع جز الرقبة. وهلم جرا إلى جميع المقررات"⁽⁴⁰⁾.

الغزالي يرى أن مثل هذه الأسباب التي تشاهد في المحسوسات لا يمكن أن تكون في الحقيقة أسباباً، لأن الملاحظ أنها تشبه بواسطة اقتران الزمن وجريان العادة ولا نستطيع البرهنة على أن شيئاً معيناً هو العلة، يقول "فما الدليل على أن النار مثلاً هي الفاعل هي الفاعل وليس لهم أي دليل إلا مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقة النار، والملاحظة تدل على الحصول عندهم ولا تدل على الحصول بها، وأنه لا علة سواء فرفض أبي حامد الغزالي القول بالتلازم بين السبب والمسبب ناتج عن كون العلة، يجب أن تتبع من إرادة فاعلة ولما كانت المادة عاجزة عن أن تكون فاعلة؛ فإنها لا يمكن أن تكون علة وبهذا يثبت بطلان دعوى من يدعي أن النار هي الفاعلة للاحتراق والخبز هو الفاعل للشبع..." وغير ذلك من الأسباب⁽⁴¹⁾.

بل من الجدير أن نقول أن فاعل الاحتراق هو الله أما النار فهي جماد فلا فعل لها⁽⁴²⁾.

أما عن قول المنكرين بأن تحويز خرق العادة يؤدي إلى سفسطة كلام لا يقبله العقل - من انقلاب الجبل ذهباً وغيره، فيجيبه الغزالي على مثله: إن ثبت أن الممكن من انقلاب الجبل ذهباً، رغم إمكانية هذا الكلام عقلاً، غير واقع بمقتضى ما خلق الله لنا ابتداء من علم بعدم حصول هذا الانقلاب وكذا جريان العادة

(36) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تحقيق عثمان، القاهرة، مكتبة وهبة، 1988، ط2، ص565، وكذلك انظر القاضي عبد الجبار: المغني 15، التنبؤات والمعجزات، تحقيق محمود الخضري وآخرون، القاهرة، الدار المصرية للتأليف، 1965، ص115، 131.

(37) الشهرستاني: نهاية الأقدام، ص426.

(38) الإيجي: المواقف، ص344.

(*) وقد كان الرد على هذه الطوائف جميعاً قائماً على ثبوت وقوع البعثة والوقوع دال على الإمكان العقلي، وأن العقل يجوز وقوع البعثة.

(39) الإيجي: المواقف، ص344.

(40) الغزالي: تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دينار، القاهرة، دار المعارف، 1980، ط6، ص239.

(41) المصدر نفسه، ص240-242.

(42) المصدر نفسه، ص243.

بعدم حصول هذا الانقلاب يرسخ في أذهاننا - عقولنا - برغم إمكانية - عدم العلم بوقوعه، فإن الله تعالى خلق لنا علماً بأن هذه المكائنات لم يفعلها، فهذه الأمور هي في باب الممكن يجوز أن تقع ويجوز أن لا تقع واستمرار العادة بها مرة⁽⁴³⁾. بعد أخرى يرسخ في أذهاننا جريتها على وفق العادة الماضية ترسيخاً لا تتفك عنه⁽⁴⁴⁾. وفي النهاية يصل بنا الغزالي إلى طريقة يمكننا من خلالها التخلص من تلك التشنيعات فيقول: أن نسلّم أن النار خلقت حلقة إذا لاقاها قطنتان متماثلتان، أحرقتها... ولكن من جهة أخرى - مع هذا يجوز أن يلقي نبي في النار - سيدنا إبراهيم - فلا يحترق إما بتغيير صفة النار أو بتغيير صفة النبي فيحدث من الله تعالى أو من الملائكة صفة في النار تقصر سخونتها على جسمها بحيث لا تتعداه، فتبقى معها سخونتها وتكون على صورة النار وحقيقتها ولكن لا تتعدى سخونتها وأثرها، إلى غير ذلك من الاحتمالات التي وضعها الغزالي ليصل في النهاية أن في مقدورات الله تعالى غرائب وعجائب، نحن لم نشاهد جميعها⁽⁴⁵⁾.

فلم ينبغي أن ننكر إمكانية ونحكم باستحالتها ومنها على سبيل المثال لا الحصر معجزات الأنبياء "إحياء الموتى، وقلب العصا حية"⁽⁴⁶⁾ لقوله تعالى { وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا }⁽⁴⁷⁾، لذلك يقول الشهرستاني أن اقتران المعجزة بدعوى النبي، تصديقاً له عند وقت التحدي دلت بوقوعها مستجابة لدعاء الداعي على أن له عند الله تعالى حالة صدق⁽⁴⁸⁾. ويتعجب الشهرستاني من منكري النبوة فيقول: "إن من أنكر النبوة فقد أقرها من حيث أنكرها، فإن النبوة لا معنى لها إلا الخبر عن الله تعالى بأنه أرسل رسولا، ومن أنكر فقد ادعى أنه مخبر عن الله تعالى أنه لم يرسل رسولا، فقد ادعى لنفسه الرسالة. فكان إنكاره إقراراً وعاد إنكاره تسليمًا"⁽⁴⁹⁾. قد تبين مما سبق في حجاج المنكرين للنبوة، إلا موجب للقول بالمنع والاستحالة استكفاء واستغناء بالعقل عن الحاجة للرسول، فلا موجب لذلك في العقل، بل نقيض ذلك لازم، فحاجة الإنسانية للرسول ضرورة حتمية، إذن فالعقل لا يغني عن الأنبياء في شيء.

(43) الغزالي: تهافت الفلاسفة، ص 245.

(44) المصدر نفسه، ص 245.

(45) المصدر نفسه، ص 245.

(46) المصدر نفسه، ص 246.

(47) 17 سورة الإسراء: الآية 85.

(48) الشهرستاني: نهاية الأقدام، ص 422.

(49) المصدر نفسه، ص 428.

الفصل الثالث

الرد على منكري النبوة

المبحث الأول: أحمد بن اسحق الراوندي.

المبحث الثاني: أبوبكر الرازي.

المبحث الثالث: وجهة نظر بعض المفكرين من منكرين النبوة.

الفصل الثالث

الرد على منكرو النبوة

إن قيمة المعرفة في التصور الإسلامي فلا ترتبط بمصدر المعرفة فحسب وإنما أيضاً بطريقها، فالمعرفة النبوية أقيم وأعلى من المعرفة العقلية لأن مصدر المعرفة كلها العقلية والنبوية هو الله سبحانه، ولكن وسيلة المعرفة النبوية وطريقها أعلى لأنه نبي يختاره الله تعالى بينما المعرفة العقلية العقل الإنساني الذي يشترك فيه كل الناس، ومن ثم فاعتماد الله سبحانه للنبوة طريقاً للمعرفة واختصاصه للنبي الذي هو بشر بطريق الوحي غير البشري، أعطى المعرفة النبوية عن طريق الوحي قيمة أكثر من المعرفة العقلية، لذلك كان تفسير النبوة وكيفية الوحي فوق مستوى العقول البشرية، لأن العلم بالكيفية هنا من قبل الله العليم الخبير وهناك من قبل الإنسان العاجز المحدود.

ولأن نأتي لبيان تمولجين من المنكرين في القرن الثالث والرابع الهجري :

- أحمد بن إسحق الراوندي.
- محمد بن زكريا الرازي الطبيب.

1- أحمد بن إسحق الراوندي :

يفضل ابن الراوندي الملحد العقل عن الأنبياء (الرسول) فيقول: "أن البراهمة يقولون أنه قد ثبت عندنا وعند خصومنا أن العقل أعظم نعم الله سبحانه على خلقه، وأنه هو الذي يعرف به الرب ونعمه، ومن أجله صح الأمر والنهي والترغيب والترهيب، فإن كان الرسول يأتي مؤكداً لما فيه التحسين والتقبيح والإيجاب والخطر، وفساقط عنا النظر في حجة، وإجابة دعوته إذ قد غنيا بما في العقل عنه (الرسول) والإرسال على هذا الوجه خطأ. وإن كان يخالف ما في العقل من التحسين والتقبيح والإطلاق والخطر فحينئذ يسقط عنا الإقرار بنبوته" (50) إنك

واضح للنبوة وتفضل العقل على الأنبياء كل هذه الأقوال والتهرات التي قال بها ابن الراوندي (*) الملحد سواء كانت من أقواله أو من آثار فكر من الأفكار الوثنية (كالهندية) وغيرها فإن ابن الراوندي الملحد أنكر النبوة عامة ونبوة محمد عليه السلام خاصة (51) حتى أنه نقد بعض تعاليم الإسلام وعباداته، ويعرض لنا أساذنا عبدالرحمن بدوي ما قاله ابن الراوندي (**) الملحد "أن الرسول الكريم أتى بما كان منافراً للعقول مثل الصلاة وغسل الجنابة، ورمى الحجارة (في الحج) والطواف حول بيت (الكعبة) لا يسمع ولا يبصر، والعدو بين حجرين - (الركن والمقام) لا ينفعان ولا يضران، وهذا كله مما لا يقتضيه عقل، فما الفرق بين الصفا والمروة - السعي بينهما - إلا كلفرك بين أي قيس (***). وحرى، وما الطواف على البيت إلا كالطواف على غيره من البيوت" (52).

(50) عبدالرحمن بدوي: تاريخ الإلحاد في الإسلام، القاهرة، سينا للنشر، 1993، ط2، ص11.

(*) ابن الراوندي من أصل يهودي نشأ في راوند قرب أصبهان، تم سكن بغداد واتصل بالمعتزلة (ولكن المعتزلة رفضته لخروجه من مبادئ التوحيد) فحمل عليهم، بل على الإسلام وتعاليمه المختلفة، حملة عنيفة، ولازم الملحدين واتصل بهم اتصالاً وثيقاً ويظهر أنه أضحي دسيمة ضد المسلمين يدبر لهم المكاييد، ويستأجر للطن عليهم، وينشر فيهم عناصر الزيغ والإلحاد، ولم يخف أمره على بعض اليهود المخلصين الذين حذروا المسلمين منه، وقالوا لهم "ليفسدن عليكم هذا كتابكم كما أفعد أبوه التوراة علينا" وقد كتب كتباً كثيرة كلها انتقاض للإسلام ورجاله منها كتاب (فضيحة المعتزلة) في الرد على كتاب (فضيلة المعتزلة) للجاحظ ولكن له كتب آخر في إنكار الرسل وإبطال رسالتهم. أنظر الخياط : الانتصار، تحقيق نبيرج، ص32-37. وكذلك ابن خلكان: وفیات الأعيان، ج1، ص38-39.

(51) إبراهيم منكور: الفلسفة الإسلامية، ج1، القاهرة، دار المعارف، 1968، ط2، ص82.

(**) عرض الدكتور إبراهيم منكور عرضاً متمناً للنبوة يشد كل درس في هذا الموضوع فقد تناول نظرية أو مفهوم النبوة عند الفارابي وخاصة نظرية الأحلام وما لها من تأثير في بعض الفلاسفة المسلمين، والمراحل التي مرت بها عند بعض الشخصيات وهم يتفقوا في آراء ويختلفوا في بعضها، ابتداء من منكري للنبوة إلى مثبتيتها. أنظر إبراهيم منكور: الفلسفة الإسلامية، ج1، ص69 ومليدها.

(*) جيلان بمكة يلعبان دوراً مهماً في السيرة، وهنا بمعنى جبلين من جبال بلاد العرب أيا كان.

(52) عبدالرحمن بدوي: تاريخ الإلحاد في الإسلام، ص120 وكذلك أنظر القاضي عبدالجبار: شرح الأصول الخمسة، ص565 والمغني 15، ص115 وما بعدها.

نرد على هذا الملحد بأن هذه التعاليم والعبادات التي رفضها كانت سبب في دخول الناس على اختلاف مللهم ونحلهم إلى الدين الإسلامي لقوله تعالى: {وَأَتَى فِي النَّاسِ بِالْحَقِّ يَأْتِيكَ رَجُلًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} (53)، فهذه الآية ترد على قول الملحدين، فكلامة مردود عليه لأنه مبني على باطل وما يبني على باطل فهو باطل.

وإذا كان ابن الرواندي الملحد قد رفض النبوة فهو بالتالي يرفض المعجزات^(*) ويتهم منها ومن الجائر أن يكون روايتها، وهم شذمة قليلة قد تواطأوا على الكذب فيها فمن ذا الذي يسلم بأن الحصى يسبح أو أن الذئب^(**) يتكلم، ولا يخل الأمر من أنه طعن في إعجاز القرآن محاولاً بذلك تشكيك الناس فيه، ويرفض نظرية الإعجاز القرآني من ناحيتي النظم والمعنى.

فيقول في القرآن: أنه لا يتمتع أن تكون قبيلة من العرب أفصح من تلك القبيلة، ويكون واحد من تلك القبيلة أفصحها وهب أن محمد صلى الله عليه وسلم غالب العرب في فصاحتهم وغلبيهم⁽⁵⁴⁾، فما حكمه على العجم الذين لا يعرفون هذا اللسان وما حجته عليهم⁽⁵⁵⁾.

فكل هذه دعاوي واهية لا أساس لها من الصحة باطلة بطلان كلامهم. لذلك يقول السيوطي: أي إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزت في الظاهر عن معارضته مصروفة في الباطن عنها، وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله تعالى في كلامه وأسراره في كتابه، فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده⁽⁵⁶⁾. والدليل على بطلان كلام ابن الرواندي أن التحدي إنما وقع للإنس والجن عل حد سواء لقوله في كتابه العزيز: {قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} (57).

وفي قول ابن الرواندي: فما حكمه على العجم الذين لا يعرفون هذا اللسان وما حجته عليهم نرد عليه بقول الباقلائي ولو جطناه قرأنا أعجمياً لقلوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي، فأخبر أنه لو كان أعجمياً لكانوا يحتجون في رده، إما بأن ذلك خارج عن عرف خطيبهم وكتبتا يعتذرون بذهابهم عن معرفة معناه وبأنهم لا يتبين لهم وجه الإعجاز فيه لأنه ليس من شأنهم، ولا من لسانهم، أو بغير ذلك من الأمور وأنه إذا تحداهم إلى ما هو لسانهم وشأنهم فعجزوا عنه وجبت الحجة عليهم⁽⁵⁸⁾. في حين ذهب أبو الحسن الأشعري إلى أن ظهور ذلك على النبي عليه الصلاة والسلام يعلم ضرورة، وكونه معجزاً يعلم باستدلال... وأما الأعجمي لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلا استدلالاً⁽⁵⁹⁾.

وكذلك من لم يكن بليغاً، فاما البليغ الذي قد احاط بمذاهب العربية وغرائب الصنعة فإنه يعلم من نفسه

(53) 22 سورة الحج، الآية 27.

(*) ويرى ابن سينا (الشيخ الرئيس) بأن النبوة فطرية لا مكتسبة، وكل ما للكسب فيها من يد أنه يزيد النبي كملاً على كماله، ورفعته فوق رفعتة، وإذا ما حظي شخص بالاتصال بالعلم العلوي تمت على يديه أمور خارقة للعادة من المعجزات وكرامات. وهذه الأمور وإن غاب عناصرها يمكن أن تفسر من هذا الطريق النفسي الروحاني، يقول ابن سينا "هلك قد تبلغك عن العارفين تكاد تأتي بقلب العادة فتبادر إلى التكذيب، وذلك مثل ما يقال أن عازماً استمقى للناس فمحقوا، أو استشفى لهم فشفوا، أو دعا عليهم ففسف بهم وزلزلوا أو هلكوا بوجه آخر، أو دعا لهم فصرفت عنهم الوباء والموتان أو السعير والطوفان، أو خضع لبعضهم سبع أو لم ينفر عنه طير، أو مثل ذلك مما لا يأخذ في طريق الممتنع الصريح، فتوقف ولا تتعجل، فإن أمثال هذه أسباباً في أسرار الطبيعة، وربما يتأتى لي أن أقص بعضها عليك" وهذه الأسباب في رأي ابن سينا ليست شيئاً آخر سوى أن النفوس السامية، وقد تجردت عن المادة وصعدت إلى سماء الأرواح، تستطيع التأثير في العالم الخارجي مثل نفوس الأفلاك وعقولها، وأثرها هذا في الواقع للإرادة الإلهية وفيض من العناية الربانية، فالمعجزة وإن خرجت على المألوف في ظاهرها هي أثر من آثار القوى المتصرفة في الكون. انظر ابن سينا: الإشارات، ص 219.

(**) يقول عبدالرحمن بدوي نحن هنا بصدد ما ذكره أهيا بن أوسي الأسلمي (أو على رواية أخرى أهيا بن الأكوخ) من أنه لقي نذبا الصيد يخبره بظهور النبي ولذلك سمى باسم مكرم الذئب. انظر عبدالرحمن بدوي: تاريخ الإلحاد، ص 122.

(54) عبدالرحمن بدوي: تاريخ الإلحاد، ص 122، وكذلك إبراهيم منكور، الفلسفة الإسلامية، ج 1، ص 83.

(55) المرجع نفسه، ص 122.

(56) السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، ج 2، دار عالم المعرفة، ص 152-153.

(57) سورة الإسراء: الآية 88.

(58) الباقلائي: إعجاز القرآن بهامش الاتقان في علوم القرآن، ج 2، دار عالم المعرفة، ص 238.

(59) المصدر نفسه، ص 199.

ضرورة عززه عن الإتيان بمثله، ويعلم بذلك عجز غيره بمثل ما يعرف عجز نفسه، كما أنه إذا علم الواحد منا أنه لا يقدر على ذلك وهو يعلم عجزه غيره استدلالاً⁽⁶⁰⁾.

لذلك كان القرآن معجزاً لا يقدر العباد عليه، وقد ثبت أن المعجز الدال على صدق النبي عليه السلام لا يصح دخوله تحت قدرة العباد، وإنما ينفرد سبحانه وتعالى بالقدرة عليه، وبالتالي فنحن عاجزون على ذلك حقيقة، كذلك معجزات سائر الأنبياء، أن هذه الدلائل أثبتت إثبات قاطع على فساد قول ابن الراوندي.

2- أبو بكر الرازي^(*):

شخصية لا تقل خطراً عن شخصية ابن الراوندي، أثارت مشكلة النبوة أثناء القرن الثالث والرابع للهجرة في شكل حاد. فهو كغيره من الملحدين يقول بالتمسوخ الذي عرفت به السمنية من الهنود، وأيضاً قوله بمبدأ التثنية (التنويه) ويشيع للمانوية الذين كانوا يفسون في غير ملل للإسلام ومبادئه، كل ذلك كان له الأثر العظيم في تكوين شخصيته الملحدة.

ويذكر لنا الدكتور عبدالرحمن بدوي في كتابه تاريخ الإلحاد الإسلامي مدح الرازي للعقل في مستهل "كتاب الطب الروحاني حيث قال "إن الباري - عز اسمه - إنما أعطانا العقل وحبانا به لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة والأجلة غاية ما في جوهه مثلنا نيله وبلوغه وأنه أعظم نعم الله علينا وأنفع الأشياء لنا... وبالعقل أدركنا جميع ما ينفعنا ويحسن ويطب به عيشتنا..."⁽⁶¹⁾ ومن خلال هذا النص يتبين التشابه الكبير بينه وبين ابن الرواندي الملحده في إيمانهم بالعقل، وأنه لا مبرر لوجود الأنبياء مادامنا نعرف بالعقل كل شيء أخلاقي وإلهي - كيف وهم يعترفون بالعقل بأنه من أعظم نعم الله ثم ينكرون نعم الله الأخرى كإرسال الرسل والأنبياء؟!... وعلى هذا الأساس يمكن تلخيص الأسس التي بني عليها الرازي بإبطال النبوة.

1- أول هذه الأسس أن العقل وحده يكفي لمعرفة الخير والشر وأنصار والنافع في حياة الإنسان وأنه يكفي وحده لمعرفة أسرار الألوهية⁽⁶²⁾.

وهنا يذكر ابن حزم قوله البراهمة "لما صح أن الله تعالى حكيم وكان من بعث رسولا إلى من يدري أنه لا يصدقه فلا شك في أنه متعنت عايت موجب نفي الرسل"⁽⁶³⁾ فكل هذا الكلام فاسد ولا أساس له من الصحة والمنطق السليم، ويرد عليهم ابن حزم بأن بعثته تعالى للرسل هي بعض دلائله التي خلقها تعالى ليدل بها على معرفة الله تعالى وعلى توحيده. وليس لأحد أن يقول لم بعثهم أو لم بعث هذا الرجل ولم يبعث هذا الآخر ولا لم بعثهم، كل هذا تساؤلات باطلة، لأن الله تعالى لا يسل عما يفعل وهم (العباد) يسألون⁽⁶⁴⁾.

2- لا معنى لتفضيل بعض الناس فكلهم مساوية وعدل الله وحكمته تقضي بالامتياز واحد على الآخر، وأن الأنبياء لاحق لهم في أن يدعو لأنفسهم ميزة خاصة، عقلية كانت أو روحية⁽⁶⁵⁾.

3- أما عن الأنبياء فإنهم متناقضون فيما بينهم، وما دام مصدرهم واحداً وهو الله فيما يقولون، فإتهم لا ينطقون عن الحق والنبوة بالتالي باطلة⁽⁶⁶⁾. ويذكر أبي حاتم الرازي^(*)، أن أبا بكر الرازي "يبين الاختلاف بين الأنبياء، فقال زعم عيسى أنه ابن الله، وزعم موسى أنه لا ابن له، وزعم محمد أنه مخلوق كسائر الناس، وماني وزرذشت خلفا موسى وعيسى ومحمد في القديم... وزعم محمد أن

(60) المصدر نفسه، ص 199، وللمزيد من الإطلاع انظر: عبدالرحمن بدوي في كتابه تاريخ الإلحاد الإسلامي وأيضاً إبراهيم منكور في كتابه في الفلسفة الإسلامية الجزء الأول، وفي كتاب السيوطي شرح وافي في أبواب المعجزة وإعجاز القرآن (الإتقان في علوم القرآن).

(*) هو أبي بكر محمد بن زكريا الرازي الذي ولد سنة 250 هـ بالري حيث تعلم الرياضيات والفلك والأدب والكيمياء للمزيد من الإطلاع انظر إبراهيم منكور: في الفلسفة الإسلامية، ج 1، ص 84 ومبعدها.

(61) عبدالرحمن بدوي: تاريخ الأحاد، ص 234-235.

(62) عبدالرحمن بدوي: تاريخ الأحاد، ص 241، وكذلك إبراهيم منكور، في الفلسفة الإسلامية، ج 1، ص 87.

(63) ابن حزم، الفصل، ج 1، بغداد، المكتبة المثنى، ص 69.

(64) المصدر نفسه، ص 70.

(65) عبدالرحمن بدوي: تاريخ الإلحاد، ص 241.

(66) عبدالرحمن بدوي: تاريخ الإلحاد، ص 241، وكذلك إبراهيم منكور: الفلسفة الإسلامية، ج 1، ص 87.

(*) أبي حاتم الرازي من أكبر دعاة الإسماعيلية الذين أبلاوا بلاء حسناً في طبرستان وأذربيجان في أوائل القرن الرابع للهجرة، وقد كان معاصراً ومواطناً لابوبكر الرازي الطبيب، ودارت بينهما مناقشات حادة ومتعددة حضرها بعض العلماء والرؤساء السياسيين له كتاب في ذلك اسمه (أعلام النبوة).

المسيح لم يقتل، واليهود والنصارى تنكر ذلك وتزعم أنه قتل وصلب⁽⁶⁷⁾، ولقد اتخذ الرازي من هذا التناقض بين الأنبياء دليلاً قاطعاً على بطلان النبوة. أما عن معجزاتهم فهي ضرب من الأفاصيص الدينية أو اللباقة أو المهارة التي يراد بها التفريد والتضليل، وأن التعاليم الدينية متناقضة يهدم بعضها بعضاً⁽⁶⁸⁾.

وجهة نظر بعض المفكرين من منكرين النبوة :

إن مسألة الرد على ابن الراوندي والرازي الفيلسوف ومن يشابههما في كفرهما وإنكارهما للنبوة، مسألة جعلت الباحثين والمدافعين عن الدين يسلكون طرق عديدة، منها منهج القرآن الذي يحترم العقل ويوجه الخطاب إليه، ونحن إن خاطبنا العقل بصريح العقل إنما بما تفهم من النص وفهمنا هو أصحال عقولنا في النص. ثم إن في شرح النص لقضية النبوة وسائر قضايا الدين ما يوقظ الفطرية البشرية ويحافظ على سلامتها من الالتواء والتعقيد والانحراف ومن خرافات العقليات الوثنية.

إن الإنسانية في حاجة للرسول وأن أقرب طريق يتكئ به معرفة مدى الحاجة للرسول، هو أن الإنسان وبرغم من كل مواهبه ونوازع، وجميع قدراته الناقصة عن تلك المميزة، يشعر في كثير من أمور بانه محكوم بقوة أرفع من قوته - بغض النظر على هذه القوة والتدرج في معرفتها في الطبيعة - تسيره وتسيطر عليه، فتأته من جهة عقله الذي يحث على طلبها ويخطئ في نيلها.

فيقول محمد عبده: "فأقام للإنسان من بين أفراد مرشدين هادين وميزهم بآيات باهرات تملك النفوس والعقول.. بما لا مندوحة عن الإعلان له يعلمونهم ماشاء الله أن يصلح به معاشهم وما أراد أن يعلموه من شؤون ذاته وكمال صفاته وأولئك هم الأنبياء المرسلون، فيبعثه الأنبياء من متممات كون الإنسان ومن أهم حاجاته في بقائه"⁽⁶⁹⁾ هي نعمة إن أتمها الله للعقل - وليس العكس صحيح كما يقول كل من الراوندي وابن الرازي الطبيب - الذي يظل في درك القصور عن معرفة ما وراء هذا الكون المحسوس من عالم الغيب، حتى تأتبه الرسل بما يكمل له معرفة، ويحقق له اليقين - معرفة الله تعالى - لأن العقول^(*) تظل محدودة في إدراكها للأشياء فمن أحوال الحياة الأخرى ما لا يمكن لعقل بشري أن يصلح إليه وحده، وهو تفصيل للذائد والآلام وطرق المحاسبة على الأعمال ولو بوجه ما، ومن الأعمال ما لا يمكن أن يعرف وجه الفائدة لا في هذه الحياة ولا فيما بعدها كصور العبادة، أما البرهمية التي ترى أن كل ما ورد به الشرع فهو قبيح في العقل، وإذا تساءل بعض عن وجه الحكمة في الأفعال الشرعية: كالصيام والطواف حول الكعبة والصلوات وغيرها فإن القاضي يرد أنه ليس من المستحيل عقلاً أن تحصل فيها أغراض تكشف عن بعضها ويعمي عليها البعض الآخر⁽⁷⁰⁾. كما يرى في إعداد الركعت وبعض أعمال الحج... إلى غير ذلك مما لا يمكن للعقل البشري أن يستغل بمعرفة وجه الفائدة فيه، لهذا كله كان العقل الإنساني محتاجاً إلى معين يستعين به في تحديد أحكام الأعمال، وتيقن وجه الاعتقاد بصفات الإلهية ومعرفة ما ينبغي أن يعرف من أحوال الآخرة، فيكون بذلك النبي أو الرسول هو المعين للعقل على ضبط ما تشتت عليه، وإدراك ما ضعف عن إدراكه⁽⁷¹⁾. لقوله تعالى: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ }⁽⁷²⁾.

حملة الملحدين هذه ضد الإسلام ومبادئه أثارَت الأوساط الإسلامية، فالإسلام لا يخلو من رجال مخلصون لله تعالى ولدينهم حفزتهم إلى الدفاع عن معتقداتهم، منهم فرق مختلفة فعلى سبيل المثال المعتزلة وغيرهم من مفكري الإسلام الذين كرسوا كل جهودهم في الدفاع عن الإسلام وعقيدته (التوحيد) وعلى رأسهم

(67) عبدالرحمن بدوي: تاريخ الإلحاد، ص 240.

(68) إبراهيم منكور: في الفلسفة الإسلامية، ج 1، ص 87.

(69) محمد عبده: رسالة التوحيد، ص 101.

(*) جعلت البرهمية نظريتها العقلية بديلاً للشرعة، ويثبت القاضي عبد الجبار المعتزلي فساد الدعوى البرهمية، في زعمها أن البعثة لو وقعت لكان فيها تناقض الأدلة، مفسرة دعواها بأن الرسول إذا بعث برسالة مخالفة لما في العقل فإنه يجري مجرى العبث. وهذا ما شد عليه أيضاً ابن حزم والشهرستاني، انظر للمزيد من الاطلاع القاضي عبد الجبار: المغني، ج 15، التنبؤات والمعجزات، ص 19.

(70) القاضي عبد الجبار: المغني، ج 15، ص 19.

(71) محمد عبده: رسالة التوحيد، ص 76.

(72) سورة الحديد: الآية 25.

وأصل بن عطاء عميد فرقته، وعمرو بن عبيد اللذان ألبيا بلاءً حسناً في معارضة الملحدين أمثال بشار بن برد وصالح بن عبد القدوس كما ناظر أبو الهذيل العلاف التنوي في البصرة وجاء فيما بعد دور إبراهيم بن سيار النظام، والذي لعب دور كبيراً في الرد على فصائل التنوي، والدهرية، وتلميذه الجاحظ فيما بعد⁽⁷³⁾. والخياط، والجبائين، امتداد نضال المعتزلة في عمليات التطهير بين من أدعوا أنهم من المعتزلة تشويهاً لسمعة المعتزلة، مما جعل المعتزلة الأصل تبادر في إقصاء (قضاء) هؤلاء من صفوفها، وتذيع برائتها من مقولاتهم من أمثال بشار بن برد وعبد الكريم ابن أبي العوجاء وغيرهم⁽⁷⁴⁾.

ووقف كبار شيوخ الاعتزال في مواجهة كل تلك التحريفات من الملحدين والمنكرين، وأيضاً من الفرق الإسلامية الأشاعرة وعلى رأسهم أبو الحسن الأشعري، كان له ردود على أولئك المنكرين والباقلاني في كتابة إعجاز القرآن، الجويني في الإرشاد، والشهرستاني في كتابه نهاية الأقدام في علم الكلام، والغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة والذي كان له باع طويل في ذلك، فنهض في سبيل الدفاع عن الدين كل فيلسوف مسلم، كالغرابي والكندي وابن الهيثم، وهناك العديد من علماء⁽⁷⁵⁾ هذا الأمة الإسلامية ولكن نذكر هؤلاء على سبيل الذكر لا الحصر، فالدين الإسلامي محفوظ بإذن الله تعالى لقوله تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }⁽⁷⁵⁾

وبناء على ما تقدم فالعقل لا يمكن أن يكون بديل على النبوة، وأن الرسول الكريم لم يحظ بالنبوة نتيجة جهد ذاتي، ولم تكن ثمرة نكاح متفوق وعقريّة فذة، وهذا ما يؤكدّه الأدبي، ليست النبوة هي معنى يعود إلى ذاتي من ذاتيات النبي، ولا إلى عرض من أراضه استحقها بكسبه وعمله، ولا إلى عمله بنبوته، لقوله تعالى: { وَلَكِنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ }⁽⁷⁶⁾ فليست إلا موهبة من الله تعالى ونعمة منه على عبده⁽⁷⁷⁾. فالعقل إذن هو وسيلة لدلالة على صدق النبوة وليس العكس والذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن أن نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام بنيت على هذه المعجزة، وإن كان قد أيد بعد ذلك بمعجزات كثيرة، معجزة عامة عمت التقلين⁽⁷⁸⁾ (الانس والجن) إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

(73) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص 134.

وذلك الخياط: الانتصار: تحقيق نيرج - مقدمة، ص 54-58 وكذلك صفحة 149-152.

(74) القاضي عبد الجبار: طبقات المعتزلة، ص 24.

(*) وقد اشتد الصراع بين الحركة الاعتزالية والزندقة في القرنين الثاني والثالث الهجري فقد أنهم عمرو بن عبيد الكرم ابن أبي العوجاء المتهم بالزندقة والإلحاد، وفساد الشباب، وبفساد حرارة موقف رفيقه بشار بن برد وابن القدوس، فتصدى له بالمناظرة والحوار. انظر ابن المرتضى: طبقات المعتزلة، بيروت، 1961، ص 44-45.

(**) أمثال أبو حاتم الرازي الإسماعيلي كان له الفضل في الرد على ابن الرازي الطيب لأنه معاصراً له. في كتابه (أعلام النبوة) وأيضاً ابن رشد في كتابه مناهج الأدلة في عقائد الملة، رغم الاختلافات البسيطة في فهم مفهوم النبوة فعند المعتزلة كان إرسال الرسل واجب على الله سبحانه وتعالى، لطفاً بعباده ورافة بهم، وللقاضي عبد الجبار كتاب في تثبيت دلائل النبوة وهو من المعتزلة المتأخرين، بينما ذهب أهل السنة إلى أن النبوة ابتداء من عند الله، يصطفي لرسالته من يشاء من عباده، دون أن يستلزم ذلك اكتساباً أو مجاهدة وهم في ذلك يتفقوا مع الأشاعرة في أن النبوة مجرد اصطفاء واختيار من الله تعالى: يمن بها على من يشاء من عباده، فليست صفة راجعة إلى النبي، ولا درجة يبلغ إليها أحد بعلمه وكسبه، وإنما هي محض ابتداء ورحمة من الله تعالى ولقد استمسك الأشاعرة المتأخرون جميعاً، أمثال النسفي ولايجي، والتفتازاني، بأن النبوة اصطفاء من الله وفضل منه، وهبة لاكتسب، للمزيد من الاطلاع انظر القاضي عبد الجبار: المغني، ج 15، وأيضاً تثبيت دلائل النبوة، الباقلاني التمهيد والإعجاز، وانظر الجاحظ حجج النبوة والغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج 2، الشهرستاني: نهاية الأقدام. للمزيد من الاطلاع انظر أبو بكر محمد الرازي: رسائل فلسفية، بيروت، دار الأفاق، 1980، ط 4، ص 291 وما بعدها.

(75) 15 سورة الحجر: الآية 9.

(76) 14 سورة إبراهيم: الآية 11.

(77) الأمدي: غاية المرام في علم الكلام، تحقيق حسن محمود، القاهرة، ص 317-318، وكذلك الباقلاني: التمهيد، تصحيح رشيد يوسف، بيروت، مكتبة الشرقية، 1957، ص 131.

(78) الباقلاني: إعجاز القرآن، ج 2، ص 11-12.

فكيف يدعي منكري النبوة بأن في العقل الكفاية النهائية للمعرفة؟! وللغزالي رأي في هذا المقام في قوله: "إن العقول قاصرة عن ذلك والعقلاء بأجمعهم معترفون بأن العقل لا يهتدي إلى ما بعد الموت، ولا يرشد إلى وجه ضرر المعاصي ونفع الطاعات، ولا سيما على سبيل التفصيل والتحديد كما وردت به الشرائع، فأقروا بجملتهم أن ذلك لا يدرك إلا بنور النبوة"⁽⁷⁹⁾، وهنا نجد موقفين للغزالي بشأن مسألة النبوة:

الموقف الأول: في إمكانها العقلي على الاستدلال المنطقي وعلى وجودها الواقعي. وهو في هذا الموقف لا يختلف مع أهل السنة في شيء، فإن العبارة المشهورة عندهم جميعاً أن دليل إمكان النبوة هو وجودها أو وقوعها⁽⁸⁰⁾. ويحرص الغزالي على أن يجعل من مهمة العقل أن يقود إلى معرفة النبي، ويرفض موقف الذين ينمون العقل.

أما الموقف الثاني: فهو حديثه المتضارب عن حقيقة النبوة وتفسيرها، فهو في كتابه المنقذ من الضلال يقول عنها هي: "عبارة عن طور تحصل فيه عين لها نورها الغيب وأمور لا يدركها العقل"⁽⁸¹⁾.

ونحن نعرف أن أكثر من قدس العقل هم شيوخ الاعتزال ولم يجعلوا في العقل كفاية عن النبوة، بل جعلوا النبوة واجباً يقتضيه العقل بناء على مذهبهم في أن الحسن ما حسنه العقل والقبح ما أقبحه العقل - مع خلافاً معهم في أن الحسين والتقيح باعتبار الشرع لا باعتبار العقل - فيقول القاضي عبد الجبار "قال مشايخنا إن البعثة متى حسنت وجبت"⁽⁸²⁾ وهم بذلك لم يمانعوا أن تكون البعثة مؤكدة لما في العقل ومفصلة لما تقرر جملة فيه... ووجهها الوجوب لما هو مستقر في العقول من أن دفع الضرر عن النفس واجب، وجلب النفع إليها حسن، فمجىء الرسل بتقرير ما ركه الله تعالى في عقولنا وتفصيله ليس مخالفاً لما في عقولنا حتى يتعارض معها، وليس في العقل غنية عنه، إذ لا يقدح ما تقرر في حصول ما يكون طريقاً إلى الأمر بما ينفع وإلى النهي عما يضر بل تتأكد الدلالة بطريقتين: الأول العقل، والثانية السمع أو الشرع يعترفون أيضاً بأن ما من شيء جاء به الشرع من العبادات والتفصيليات إلا وفيه وجه للحسن⁽⁸³⁾. وعلى هذا الأساس فإن القاضي لم ينكر دور العقل ولم يفضل عن النبوة، بمعنى أن هناك علاقة بين العقل والمعرفة باعتباره أنه وسيلة إلى معرفة الله تعالى. ويؤكد الجبائي على أهميته المعرفة العقلية وقوله بشرعية العقل لا يعتمد إلى إنكار ضرورة النبوة وأهميتها كما فعل منكري النبوة من البراهمة وغيرهم - فإن للنبي المهمة كبيرة هي تبيان "مقدرات الأحكام ومؤقتات الطاعات التي لا يتطرق إليها عقل ولا يهتدي إليها فكر"⁽⁸⁴⁾ وهو يعني أن إيضاح العبادات وكيفيةها من صلاة وصوم.

في حين ينكر أبا بكر الرازي الطبيب الملحد محاولة التوفيق بين الفلسفة والدين، ويرى أن الفلسفة هي المبيد الوحيد لإصلاح الفرد والمجتمع، وأن الأديان مدعاة التنافس والتطاحن والحروب المتتالية⁽⁸⁵⁾، وهذه وجهة نظر مخالفة لوجهة نظر المعتزلة أصحاب الرأي الحر في التفكير.

وإذا جئنا إلى فيلسوف العربي الكندي فلنأخذ نرى أن الكندي لم يتردد في تفوق النبي على الفيلسوف، باعتبار أن النبوة هي التي تمثل أسس الدين كله⁽⁸⁶⁾.

أما عن الفارابي فلقد أكد النبوة وضرورتها، فجعل النبي حكماً فيلسوفاً وأن وجوده لازماً لحياة المدينة الفاضلة⁽⁸⁷⁾.

وحاولوا الملحدون أن يفضلوا الفلسفة على الدين كما فعل الرازي الطبيب الملحد، أن مسألة تفضيل الفلسفة على النبوة من قبل الرازي يشجع أصحاب النفوس المريضة بإنكار النبوات، وتنفذ الفلسفة التي تخدم الدين بالإلحاد⁽⁸⁸⁾.

(79) الغزالي: الجامع العوام عن علم الكلام، تحقيق سميع دغيم، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1993، ص 81.

(80) الغزالي: المنقذ من الضلال، ص 80.

(81) الغزالي: المنقذ من الضلال، ص 80.

(82) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص 564، وكذلك القاضي: المغني 15، ص 63.

(83) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص 565-566.

(84) الشهرستاني: ملل، على هامش الفصل، ج 1، ص 100.

(85) إبراهيم منكر: الفلسفة الإسلامية، ج 1، ص 85.

(86) علي فهمي خشيم: الجباليان، طرابلس، 1967، ص 247.

(87) الفارابي: المدينة الفاضلة، بيروت، 1959، ص 104 وانظر أيضاً محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، بيروت، 1973، ط 2، ص 270.

(88) انظر القاضي عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، ج 2، ص 374 وكذلك دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، تحقيق أبو ريده، ص 148.

ومهما تكن غاية هؤلاء الفلاسفة من دفاع عن النبوة في وجه الملحدة، أمثال أبي بكر الرازي الطبيب الفيلسوف الذي أنكر النبوة واللف في ذلك كتابه "مخاريق الأنبياء"، وابن الراوندي الذي أنكر النبوة كذلك فإن الدفاع عن النبوة ينبغي أن لا يخرج عن منهجها في الاستدلال العقلي بمفهومه من القرآن والسنة. لأن العقائد الإسلامية والنبوة إحدى هذه العقائد تخاطب العقل ومعها أسلحتها على ضلالات العقل.

فالنبي هو المعبر عن إرادة الله تعالى، ووجوده ضروري لإرشاد الناس إلى ما فيه صلاحهم في الدارين ولتأكيد نبوته وإثباتها في نفوس البشر، أيده الله بالمعجزات وبالعهمة في تلقي الوحي ونشر التبليغ، ولو شاء الله أن يجعل الأمم جميعاً تدين بدين واحد وملة واحدة في جميع العصور لفعل كما جاء في قوله تعالى: { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ }⁽⁸⁹⁾ فالله تعالى حكيم خبير يعلم ما للأمة والأزمان من خصائص وطبائع، وما يناسب كل أمة من أحكام وشرائع يستقيم بها أمرها وتقتضيه مصلحتها فأنزل شرائع شتى، تتفق جميعها في الأصول، ويختلف بعض أحكامها في الفروع باختلاف الأمم والدور ومن الطبيعي أن ينسخ بعضها بعضاً في بعض الأحكام، واقتضت حكمته تعالى أن يختم شريعته، بشريعة عامة كاملة كفيلة بمصالح الناس إلى يوم الدين، فأنزل بها القرآن وميزه على سائر كتبه السابقة بما يعلمه الراسخون في العلم، وبعث به خاتم رسله وأفضل خلقه، وأمره ببيانه للناس، فمنهم من أدرك هذه الحكمة، فعرف به ربه حق المعرفة وأمن به وبكتبه ورسله وعمل بأحكامه، ومنهم من جهلها فجمدت قريحته وفسدت سريرته، وأمن ببعض وكفر ببعض فكان لله عاصياً ولحكمته جامداً ولرسله مكذباً وعن كتبه معرضاً، وهذا في حد ذاته برهان على كل منكري النبوة، ولقد ثبت بدليل العقل والنقل، أن صاحب الشريعة الإسلامية، والملة الحنيفة هو خاتم الأنبياء والمرسلين، صاحب الشفاعة الكبرى، رسول الله محمد بن عبدالله بن عبد المطلب.

الخاتمة :

تبين مما تقدم في حاجة العلم الإنساني إلى الرسل أنهم من الأمم بمنزلة العقول من الأشخاص، وأن بعثهم حاجة من حاجات العقول البشرية قضت رحمة المبدع الحكيم بسدادها ونعمة عن نعم وأهب الوجود ميز بها الإنسان عن بقية الكائنات من جنسه ولكنها حاجة روحية وكل ما لامس الحص منها فاقصد فيه إلى الروح وتطهيرها من دنس الأهواء الضالة أو تقويم ملكتها وإيداعها ما فيه سعادتها في الحياتين.

بعد عرضنا لهذا البحث نستطيع معرفة أهم النتائج التي أفضلت إليها هذه الدراسة :

- 1- فالعقل لا يمكن أن يحل محل النبوة، ولكن هو الوسيلة التي توصلنا إلى الاعتقاد والاستدلال على النبوة، وليست كما قالت البراهمة وغيرهم من المنكري بأن العقل يحل محل النبوة وليس هناك من حاجة إلى المرسلين، لأن العقل يقوم مقام النبي! لو صح لانسد باب العلم والنصيحة والأمر بالمعروف وبشتى أنواعه، وباب الإصلاح والمصلحين، وجاز لكل إنسان إذا أرشده مرشد، أفهم وأعلم أن يرد عليه، ويقول له لي من عقلي غني عنك وعن تعاليمك.
- 2- إن الطريق لإثبات النبوة يكون بالكشف عن حقيقة النبوة وتعريفها، ذلك أننا لا نستطيع بقولنا أن نعلم الاعتقاد الحق والعمل الصالح ما هو وهدى الله الذي يهدي به الناس على يد النبي فيخرجهم من الظلمات إلى النور. ولا يكون ذلك إلا لنبي صادق مصدق. وكل ذلك حصل للنبي عليه السلام ففعل ما لم يفعل غيره من البشر لقوله تعالى : [يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مُوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ]⁽⁹⁰⁾
- 3- الإيمان بالنبوة ركن من أركان إيماننا فلا إيمان لمن لا يعترف بالنبوة طريقاً للمعرفة، ولا إيمان لمن لا يشهد بأن محمد عليه السلام رسول الله إلى البشر كافة.
- 4- تنتهي إلى النتيجة والتي تعتبر محور هذا البحث وهي أن حملة الرازي وابن الراوندي الملحدين من قلبهما على الأديان والنبوات أثارَت الأوساط الإسلامية على اختلافها، وحفزتها إلى الدفاع عن معتقداتها.

(89) سورة المائدة: الآية 48.

(90) سورة يونس : الآية 57.

- 5- كان الرفض للنبوة نتيجة أكيدة لمواقفهم المعادية للدين، وأن العقل هو المرجع الأول في كل شيء وهو وحده كلف المعرفة الخير والشر والنافع والضار والأسرار الإلهية.
- 6- أن النبوة في التصور الإسلامي هي فضل من الله تعالى بمحض اختياره عز وجل وإرادته المطلقة المختارة يتفضل بها على عبد من عباده كي يبلغ العباد الهداية، وهي عند الفلاسفة أمر ضروري واجب يقضيه التحسين والتقبيح العقليين.

مصادر البحث:

- القرآن الكريم.

- 1- إبراهيم مذكور: في الفلسفة الإسلامية، ج1، القاهرة، دار المعارف، 1968.
- 2- ابن المرتضى: طبقات المعتزلة، بيروت، 1961.
- 3- ابن حزم: الفصل، ج1، بغداد، مكتبة المثنى.
- 4- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، مصر، 1310 هـ.
- 5- ابن سينا: الإشارات، تحقيق سليمان دنيا، مصر، دار المعارف، 1960.
- 6- أبو بكر محمد الرازي: رسائل فلسفية، بيروت، دار الآفاق، 1980، ط4.
- 7- أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج3، بيروت، دار الكتاب العربي، 1936، ط10.
- 8- أحمد صبحي: في علم الكلام، ج2، بيروت، دار النهضة، 1985، ط5.
- 9- أحمد صبحي: في علم الكلام، ج3، بيروت، دار النهضة، 1991، ط5.
- 10- الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج1، 2، تصحيح هلموت ريتز، 1986، ط3.
- 11- الأمدي: غاية المرام في علم الكلام، تحقيق حسن محمود، القاهرة.
- 12- الإيجي: المواقف، القاهرة، مكتبة المتنبي، بدون تاريخ.
- 13- الباقلائي: إعجاز القرآن بهامش الاتقان في علوم القرآن، ج2، دار عالم المعرفة.
- 14- الباقلائي: التمهيد، تصحيح رتشارد يوسف، بيروت، مكتبة الشريعة، 1957.
- 15- البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق محي الدين، القاهرة.
- 16- الجويني: الإرشاد بصحيح زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، 1995، ط1.
- 17- الحاكم الجشمي: شرح عيون المسائل، ط تونس، 1979.
- 18- الخياط: الانتصار، تحقيق نبيرج، بيروت، دار العربية للكتاب، ط2، 1993.
- 19- الدواي: طبقات المفسرين، ط مصر، 1972.
- 20- السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، ج2، دار عالم المعرفة.
- 21- الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، مكتبة المثنى، بغداد.
- 22- الشهرستاني: نهاية الأقدام في علم الكلام، بغداد، مكتبة المتنبي، تصحيح الفرد جيوم.
- 23- الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، ج1، بدون تاريخ.
- 24- الغزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق جميل صليبا وكامل عباد، بيروت، دار الأندلس، 1973، ط8.
- 25- الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، مكتبة محمد علي، 1982.
- 26- الغزالي: الجامع العوام عن علم الكلام، تحقيق سميح دغيم، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1993.
- 27- الغزالي: تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، القاهرة، دار المعارف، 1980، ط6.
- 28- الفارابي: المدينة الفاضلة، بيروت، 1959.
- 29- القاضي عبد الجبار: طبقات المعتزلة، القاهرة، 1972.
- 30- القاضي عبد الجبار: المغني 15، التنبؤات والمعجزات، تحقيق محمود الخضري، 1965.
- 31- القاضي عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، ج2، تحقيق عبد الكريم عثمان، بيروت، الدار العربية.
- 32- القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان، القاهرة، مكتبة وهبة، 1988، ط2.
- 33- المكلائي: لباب العقول، القاهرة، دار الأنصار، 1977، ط1.

- 34- دي نور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، تحقيق أبوريده، بيروت، دار النهضة العربية، 1981، ط5.
- 35- راجح عبدالحميد الكردي : نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، الرياض، مكتبة "المؤيد"، 1992، ط1.
- 36- رسائل العدل والتوحيد: تحقيق محمد عمارة، بيروت، دار الشروق، 1988، ط2.
- 37- عبدالرحمن بدوي: تاريخ الإلحاد في الإسلام، القاهرة، سينما للنشر، 1993، ط2.
- 38- عبدالفتاح أحمد الفاوي: أصالة التفكير الإسلامي، القاهرة، 1983.
- 39- علي فهمي خشيم: الجبائيات، طرابلس، 1967.
- 40- قاسم حبيب جابر: الفلسفة والاعتزال، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات، 1987، ط1.
- 41- محمد عبيده: رسالة التوحيد، بيروت، دار إحياء العلوم، 1982، ط4، ط10.
- 42- محمد علي أبوريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، بيروت، 1973، ط2.
